الفصل الثالث

منابع التقسيم

خلال عامي ١٩٤٠ ـ ١٩٤٦ قامت الرابطة الإسلامية بقيادة محمد علي جناح بمواصلة النضال دون هوادة للحصول على وطن مستقل للمسلمين، ومع بداية عام ١٩٤٧ بدا أن الأحداث أخذت تتحرك في الإتجاه الذي يحقق هذا الحلم وكانت الحكومة البريطانية قد حددت موعداً أخيراً لتحويل السلطة إلى أيدي أهل الهند، وبحلول شهر ابريل ١٩٤٧ أصبح معروفاً أن نائب الملك الجديد اللورد (مونتباتن) بدأ يعمل في خطة التقسيم.

كان هذا الأمر مزعجاً جداً لجماعة الكونغرس الهندوكي المهيمن على البلاد. فبعد أن حارب الكونغرس بعزم كل تسوية في صالح المسلمين في السنوات السابقة كان من الصعب أن ينتظر منه في النهاية أن يحمل نفسه على قبول إيجاد دولة مستقلة للمسلمين فلا عجب إذن أن يوافق زعماء الكونغرس على فكرة التقسيم بتذمر وتردد كبيرين ولكن يبدو أنهم أضمروا في أنفسهم القضاء على هذه الفكرة على أن يلقنوا المسلمين أثناء ذلك درساً قاسياً.

استعدادات منظمة ر.س.س:

ظهرت منظمة هندوكية مقاتلة تسير على خطى نظام الفاشية وتدعى باللغة الهندية (راشتريا سيفاك سانغ) أو مختصرها ر.س.س وكانت تعمل منذ عام ١٩٢٥ سراً ولكنها ظهرت الآن علناً وبشكل واسع، ومؤسس هذه المنظمة هو الدكتور هيدجوار[1] من ناكبور، وهو يعتبر المسلمين أعداء لوحدة الهنادكة،

(١) HEDGWAR

والمبدأ الرئيسي الذي أكد عليه بإستمرار في تدريبه لاتباعه هو: (هندوستان للهنادكة) كما أن إنكلترا للإنكليز وفرنسا للفرنسيين وألمانيا للألمان وشعوب تلك البلاد تفخر بقول ذلك علناً. وهذا هو الموضوع الرئيسي لكتاب (نحن أو تحديد[1] قوميتنا) ظهر عام ١٩٣٩ بقلم غولوالكر[2] القائد الحالي للمنظمة وقد وصف هذا الكتاب على أنه إنجيل منظمة ر. س. س.

تنشد منظمة سانغ السلطة السياسية ليس من أجل وضع خطة اجتماعية واقتصادية محددة بل لتحقيق هدف ثقافي وهو بالتحديد جعل الهند هندوكية، وأصبح هذا الهدف واضحاً لا يرقى إليه الشك من خلال تعريف غولوالكر للوطنية إذ يقول: «تنصهر الأمة التي تتألف من خمسة عوامل منفصلة، في عامل واحد قابل للانصهار وهذه العوامل الخمسة هي: البلد، العرق، الدين، الثقافة، اللغة». فبعد أن وضع هذه الصيغ الخمسة استنتج بأن الهنادكة أصبحوا أمة ناضجة منذ آلاف السنوات ولا يزالون حتى الآن. أما الغزاة المسلمون ومن بعدهم البريطانيون فقد حكموا الهند قرابة ٨٠٠ عام فقط وهي الفترة التي تعتبر فترة قصيرة في حياة أمة ولا تخول المسلمين أن يصبحوا شعب هندوستان ويحق لهم هذا إذا تبنوا الثقافة الهندوكية الرئيسية وإلا فإنهم يعيشون بشقاء ويقبلون بوضع الأقلية التي لا تملك سوى الحقوق التي تمنحها إياها الأمة أي الهنادكة. ويقول غولوالكر: «إن هذا ينسجم مع حقوق الأقليات الخاضعة لاتفاقية هيئة الأمم».

إن انتشار هذه المنظمة الفاسدة كان بفضل السرية التي كانت تحجبها عن أعين الناس والآن يدرك كل فرد حتى البسطاء بأن هدفها الرئيسي هو السيادة الهندوكية على شبه القارة وإنها تملك الكثير من رؤوس الأموال وبأنها لا تشعر بوسواس غاندي تجاه الاغتيال أو المجازر.

وبحلول عام ١٩٤٦ ازداد أعضاء هذه المنظمة بشكل كبير وخاصة في بهار

---

(١) WE OR OUR NATIONHOOD DEFINED

(٢) GOLWALKAR

والبنجـاب ويوبي إذ بلغ عدد الأعضاء في المقاطعة الأخيرة ١٠ آلاف، وفي البنجاب كانت المنظمة تعطي دروساً تدريبية حول استعمال السلاح وصناعة القنـابـل وإلقـاء الأحماض وغير ذلك، ولكي تخيف المسلمين أرادت القيام بعرض عضلاتها في دلهي في بداية عام ١٩٤٧ إذ قامت بتنظيم اجتماع حاشد ضم أكثـر من ٢٥,٠٠٠ شخص من المتطوعين إلا أن السلطات منعت هذا العرض فكانت النتيجة عاصفة من الاحتجاج الهندوكي ا لمحلي واضراباً عاماً بين المتاجر الهندوكية.

كان هدف سانـغ الـظاهر تنظيم الدفاع الهندوكي ضد المسلمين، ومن المعالم البارزة لإجراءات الدفاع هذه إنشاء جماعة سرية من نساء هندوكيات يتظاهرن بأنهن مسلمات ويعلن عن مقاطعة المتاجر الإسلامية وكذلك توظيف جمـاعـة من الأراذل بمـرتبـات ضخمـة وجمع الأسلحة الخطيرة مثل البنادق والرشاشات والمسدسات والقنابل اليدوية والخناجر والرماح إلى جانب القنابل المصنوعة من علب السجائر الفارغة، وجمعها كميات كبيرة من النفط والحامض والسائل التي تنتج غازات سامة مخزونة في مراكز مختلفة، وفي مركز صغير واحد مثل مركز (كرشنا نغر) في لاهور يوجد عدة مستودعات للبنادق والأسلحة والقنابل اليدوية وذخـائـر حربية أخـرى. أمـا الأنـواع سهلة الاستعمـال من الـذخيرة والديناميت والمتفجرات الصغيرة والمسدسات فتكون جاهزة للاستعمال الفوري وهي بعهدة أشخاص يعتمد عليهم في نقاط بارزة على الطريق.

ومن الجدير بالذكر أن منظمة سانغ لم تكن تشمل إرهابيين محترفين فقط بل قد امتدت عضويتها إلى جميع أنواع الناس وعلى سبيل المثال كان في فرع المنظمة في ولاية البنجاب يوجد ٣٢٠٠ عضو دائم و٨٠٠٠ عضو مؤقت، منهم ٤٠٪ طلاب و٢٥٪. أصحـاب متاجر و٢٠٪ موظفي حكومة و١٥٪ مأجورون للإرهاب فقط ولم يستثن المثقفون أيضاً، إذ أن المدير السابق للكلية الحكومية في لاهور كان أيضاً عضواً في منظمة سينغ بشكل واضح. شهدت دلهي في شهر ديسمبر اجتماعاً حاشداً يتألف من ٥٠,٠٠٠ شخص، ٢٠,٠٠٠ منهم أتوا

من مراكز نائية و٢٠,٠٠٠ متطوعون. وقد أكد (غولواكر) في هذه المناسبة إذ قال إذا قررت زيارة جميع فروع منظمة سينغ سيستغرق ذلك من ٢٠-٢٥[1] سنة على الأقل ذلك إذا لم تفتح فروع جديدة في تلك الفترة ولا عجب أن تدعى جماعات منظمة سينغ بأن خمسة ملايين هندوكي يدعمون قضية المنظمة بشكل مباشر وغير مباشر.

لقد خططت هذه المنظمة بدقة لمحو المسلمين. فقد أعدت قوائم تتضمن أسماء الشخصيات البارزة من المسلمين وموظفي الحكومة وأعضاء الرابطة الإسلامية وعائلاتهم وعناوينهم وفي بعض المدن وضعت إشارة على بيت كل مسلم على الخريطة وأخذت تدرب أعضاءها لنسف هذه البيوت.

الخطة الحربية في البنجاب:-

إلى جانب زيادة أعضاء هذه المنظمة وتجهيزهم عمد الهنادكة إلى إقامة اتحاد مع جماعة السيخ، وقد حكمت هذه الجماعة في مناطق معينة من البنجاب لعدة سنوات وفي الآونة الأخيرة طمحت للحصول على دولة مستقلة للسيخ، مع أنهم بعكس المسلمين لا يشكلون غالبية ساحقة في أية منطقة. وقد قرر الهنادكة التلاعب بطموحات السيخ هذا وقد فسروا الموضوع على الشكل التالي: إذا تعاون السيخ مع الهنادكة ضد المسلمين فسيطالب الكونغرس بتقسيم البنجاب وهي مقاطعة يسود فيها المسلمون؛ والمعنى المتضمن هو تحقيق دولة مستقلة للسيخ وبذلك يخلقون نزاعاً بين السيخ والمسلمين، وقد حاولت الصحافة الهندوكية أن تجعل السيخ يشعرون بقوتهم المسلحة وتفوقهم على المسلمين وتؤكد لهم الدعم الهندوكي الكامل في حربهم ضد المسلمين، وذكرت صحيفة الكونغرس اليومية بقلم ابن غاندي تقول: «تملك جماعة السيخ تنظيماً وقوة عسكرية أفضل بكثير مما هي عليه حالة المسلمين فإذا تطور هذا الهياج إلى تصادم بين الجماعات الرئيسية القاطنة في البنجاب فسيتعاون السيخ والهنادكة ضد المسلمين ومن المعلوم أن الرجال والنساء من السيخ مسلحون

(١) مبالغة مستهجنة.

بخنجر يسمونه (كربان)[1] وسيحصل السيخ أيضاً على الدعم من منظمة ر.س.س التي هي مستعدة أيضاً للدفاع عن الحقوق الهندوكية».

إلى جانب استخدام الهنادكة السيخ في خدمتهم وأغراضهم ضد المسلمين هناك سبب آخر أكبر عند الهنادكة يدفعهم لاستمالة السيخ إلى طرفهم.

كانت الهندوكية تنتظر بهدوء عودة السيخ إلى حظيرتها غافلة عن جميع الحركات المنشقة[2] عنها في الماضي ولكنها لم تنسها وتعمل لجمع الشمل أي لضم هذه الفرق المنشقة إلى أمها الهندوكية لأن الهنادكة ظلوا ينظرون إلى السيخ على الرغم من انفصالهم عنهم كأنهم ما زالوا هنادكة. أما السيخ من جانبهم فإنهم على الرغم من خروجهم المفترض من حظيرة الهندوكية كنوع من الإصلاح الناقم فقد ظلوا كما قلنا هنادكة في نظر الهنادكة.

أدرك السيخ مؤخراً فقط هذا الدافع عند الهندوكيين الذي غاب عن انتباههم أيام كفاحهم والإنفعال الذي رافقهم يوم تقسيم الهند وكانت النتيجة أن سقطت جماعة السيخ قليلة العدد ولكنها جماعة شجاعة ضحية مخططات الهنادكة ومشوا بصدق في سياستهم ضد المسلمين. وفي اجتماع عقد في ١٦ مارس ١٩٤٦ قامت لجان (شريموني غوردوارا براباند هاك) بإصدار قرار يدعم تأسيس دولة مستقلة للسيخ ومما قالوه: «لكي نضمن التزايد الحر والمتحرر لوجود السيخ يجب تقسيم منطقة البنجاب الحالية بحدودها غير الطبيعية لكي تؤسس دولة منفصلة ومستقلة للسيخ من تلك المناطق الكائنة في وسط البنجاب وشماله وشرقه وجنوبه الشرقي أيضاً حيث تتركز فيها الغالبية العظمى من السيخ، وبما أن معظم الممتلكات في هذه المناطق تعود إلى السيخ فهي في الواقع وطن السيخ الشرعي».

---

(١) الكربان عبارة عن خنجر يحمله السيخ دائماً وزمن الاستعمار الانكليزي كان يسمح للسيخ فقط بحمل هذا الخنجر لأنه أحد شعائر دينهم ولا يسمح لأحد غيرهم.

(٢) اسس دين السيخ بابا نانك (١٤٦٩ - ١٥٣٨) ويقال أنه كان يود أن يؤلف بين الهندوكية والإسلام فانشقت جماعته عن الفريقين ولكنها ظلت أقرب إلى الهندوكية منها إلى الإسلام.

وهكـذا كان السيخ يلعبون لعبة الهنادكة فشنوا حملة واسعة ضد الرابطة الإسلامية وأكدوا بقوة كبيرة بأنهم يعارضون وجود الباكستان مستخدمين بذلك جميع الوسائل إذا اضطر الأمر.

لم يدخر زعماء المسلمين جهداً لتحقيق السلام والانسجام الطائفي ونحن لا نستطيع هنا ذكر كل ما فعلوه بل نأخذ مقاطع من كلماتهم بسبب ضيق المكـان فمن ذلك تصريحات كل من (نواب ممدوت) في ٣ و٤ و٦ من مارس ١٩٤٧ وتصريح راجا غضنفر علي خان في ٧ و١٢ مارس وملك فيروز خان نون في ١٠ مارس وتصريح ممتاز دولتانه في ١٤ مارس وكذلك قرار لجنة العمل الإقليمية للرابطة الإسلامية في ١٠ مارس ١٩٤٧.

ولعل أفضل ما يكشف الحقائق من موقف الهنادكة والسيخ من جهة وموقف المسلمين من جهة أخرى هو ما جاء في الصحف التي ظهرت في تلك الحقبة فقـد نشرت كل من صحيفة أخبار باكستان والأخبار الشرقية وزميندار واحسان ونواي وقت في ١١ فبراير ١٩٤٧ وكلها تصدر عن لاهور وهي جرائد مسلمة جاء فيها ما يلي: «إننا نتقدم بكل احترام إلى المسلمين في البنجاب بشكل عام والمسلمين في لاهور بشكل خاص أن يحافظوا على الهدوء التام ويمتنعوا عن النزاع الطائفي مهما كان المحرض وإننا سنقاوم أية محاولة لإثارة النزاع الطائفي ولن نسمـح أن يكتب له النجاح. وفي مقابل ذلك نشرت الصحافة الهندوكية السيخية المشتركة التي تتألف من صحف ميلاب وويربهارت وبراتاب وبريهات وآجيت وبنده ماترام وجي هند وويشوا فاندو وهندي ميلاب، نشرت كل هذه الصحف في ٥ مارس ١٩٤٧ مقالاً مشتركاً قالت فيه: لن نسمح لوزارة الرابطة الإسـلامية بأن تحيا ونعتبر من واجبنا استخدام أية طريقة لجعل هذه الوزارة مستحيلة الوجود وتنذر كل شخص وكل قوة سواء أكانت هي الحاكم أو أية قوة أخرى بأن أهدافهم العامة ستتحطم على صخرة الهنادكة والسيخ والمنبوذين.

وقد أصبح الهنادكة والجماعات الطائفية الأخرى مستعدين للهجوم على المسلمين الضعفاء وأصبحت لهجة زعماء الهنادكة في خطاباتهم هيستيرية في

تلك الفترة إذ كانوا يقولون: «اقتلوا المسلمين واحصلوا على السلاح منهم»، وفي الإجتماعات العامة وصف العديد من الزعماء بإسهاب الأعمال الجائرة المزعومة التي زعموا أن المسلمين ارتكبوها ضد أصحاب الديانات الأخرى في مقاطعة غرب البنجاب، وكانت التفاصيل مبالغاً فيها إلى درجة كبيرة الغاية منها استفزاز الشعور وأعلن حزب مهاسبها الهندوكي بأن الدين الهندوكي في خطر لذا يجب أن ينهض الجميع ويشارك في إبادة المسلمين وليس هناك من تضحية أعظم من ذلك وأكد رجال السياسة مرات متكررة بأنهم لن يسمحوا للمسلمين أن يكونوا قوة متعادلة معهم.

القتل الجماعي للمسلمين:

بدأت الآن مرحلة القتل الجماعي للمسلمين، ففي الرابع أو الخامس من شهر أوغست وفي المناطق الريفية البعيدة في وسط البنجاب التي تبعد نحو ألف ميل عن الطرف الآخر وردت القطرات الأولى من الأنباء التي أنذرت بالكارثة إذ قامت عصابات متجولة بهجوم منظم بشكل لم يسبق له مثيل على قرى المسلمين، وجاء في أنباء لومبى قولها: «قامت عصابات بقيادة جنود سابقين مسلحة ببنادق آلية ومسدسات وقنابل يدوية في أنحاء البلاد تهاجم القرى وتحرقها وتقتل السكان». وفي ١١ أوغست في يوم من القتال العنيف في امرتسر وارتكاب أعمال وحشية ضد المدنيين ألقت قوة الحدود في البنجاب القبض على ٤١ شخصاً من أفراد العصابات فاحتج السيد تارا سينغ وأشار إلى الحوادث الضئيلة جداً التي أيدتها تلك القوة. لهذا بدأت العصابات تركز إهتمامها على الذين لا يستطيعون رد الهجوم ولجأت إلى قتل السكان العزل وإلى السرقة والاغتصاب والحرق.

الوضع في ولايات شرق البنجاب:

كان الوضع في ولايات شرق البنجاب أكثر إرهاباً وكذلك حول ولاية دلهي حيث أن المسلمين هناك إما أبيدوا أو طردوا من منازلهم وفور إعلان خطة ٣ يونيو

بدأت حملة واسعة لإبادة المسلمين في الولايات الهندوكية مثل بهاراتبور وألور ثم انتشرت إلى غواليور كذلك. لم تكن هذه الحملة إنفجاراً طائفياً بل كانت حركة مدروسة منظمة بمساعدة الحكام لقتل المسلمين بوحشية قاسية لكي يخلصوا هذه الولايات من سكانها المسلمين وقد استطاع القليل فقط النجاة بأرواحهم ليصبحوا تائهين دون وطن وليقضوا نحبهم بالمئات على الطرقات وفي الحقول، وكان هذا العمل هو القطرات الأولية القليلة من السيل المنهمل الذي غمر أجزاءاً كبيرة من شبه القارة، وتقول بعض التقديرات إنه قتل خلال ست أو سبع أسابيع أي بين بداية أوغست ونهاية سبتمبر ما لا يقل عن مئة ألف شخص من المسلمين وفرت آلاف كثيرة للنجاة بأرواحهم وطردت آلاف أخرى بوسائل مختلفة واستولى الهندكة على ممتلكاتهم وأعطوها للمقربين والمؤيدين للحكومة. وكما حدث في شرق البنجاب حدث هنا في أطراف دلهي حيث اغتصبت معظم الشابات وانتهكت كرامتهن وخضعن لعذاب وحشي وكانت هناك محاولات منظمة ومنتشرة لإجبار المسلمين على ترك دينهم واعتناق الهندوكية وبدا أن كل شيء يجري وفق جدول منظم ومما يلفت النظر في حوادث القتل في الولايات هي المشاركة الفعالة والصريحة للجنود مع الثائرين.

كل من يقرأ التفاصيل الدقيقة لهذه العمليات التي جمعها (توكر) بجهد في كتابه يستنتج مباشرة أن كل هذه الحركات منظمة من قبل الموظفين الهنادكة في ولايتي ألور وبهاراتبور والهدف منها إبادة المسلمين. كانت التقارير الواردة تتحدث عن الكتائب المسلحة المشتركة مع جماهير الهنادكة الثائرة في ارتكاب المجازر الوحشية ضد القرى. وتحدث توكر عن العصابات الإجرامية الهندوكية التي كانت تحمل البنادق وتنتقل من مكان إلى آخر بينما لا تحاول كتائب الجنود منعهم، وينتقلون من قرية إلى أخرى ويشعلون النار فيها وفي محاصيلها دون تدخل من الجنود وفي إحدى المناسبات مرت دورية من قوى الولاية على بعد ٣٠٠ ياردة من عصابة إجرامية تحرق المحاصيل ومع ذلك لم تحاول منعهم، والأسوأ من ذلك أنها كانت تشاهد هذه القوى وهي تقود عصابات الهنادكة

الثائرين وتشترك معها في الإجرام.

نضيف إلى ذلك أن المسؤولين الهنادكة زاروا الولاية في عدة مناسبات ولم يذكروا أي سبب لإشتراك الجنود مع العصابات كما أنهم لم يذكروا تبريراً لهذا الاشتراك الإجرامي وكذلك فعلت سلطة الولاية ذاتها، والأفظع من ذلك أن الجميع لم ينفوا وجود الجنود مع العصابات وقد دلت تقارير المسؤولين على صحة اشتراك الجنود مع العصابات وإنهم كانوا يسمحون لهم بقتل وتشويه الرجال والنساء والأطفال من المسلمين ونتيجة لذلك أبيد السكان المسلمون في كل من ولاية ألور وبهاراتبور وباتياله ونبها وجيند وفريد كوت وكبور تهله. ويقول إحصاء رسمي لعام ١٩٤١ إنه كان يوجد في باتياله ٤٣٦,٥٣٩ مسلماً وفي نبها ٧٠,٣٧٣ مسلماً وفي جيند ٥٠,٩٧٢ مسلماً وفي فريد كوت ٦١,٣٥٢ مسلماً وفي كبورتهله ٢١٣,٧٥٤ مسلماً. وفي كبورتهله كان المسلمون هم الأكثرية الساحقة ويشكلون ٥٦,٥٪ من عدد السكان الإجمالي ولكن في نهاية عام ١٩٤٧ لم يبق مسلم واحد في كبورتهله وفي باتيا انخفض عدد المسلمين إلى نحو ٢٥٠,٠٠٠ مسلم وفي نبها إلى ٥٠,٠٠٠ مسلم. وشهد فجر ١٥ أوغست غرق شرق البنجاب في فوضى حرب أهلية غير معلنة. وفي ١٧ أوغست انقطعت الولاية عن دلهي إلاَّ جواً وفي ٢٠ منه قيل إنه لم تبق قرية بين لاهور وامرتسر لم تحترق ويقتل سكانها أو يجبروا على الفرار.

وكذلك لم تسلم القطارات أو الشاحنات المكتظة بالهاربين نحو باكستان فقد تعرضت للهجوم من قبل العصابات المسلحة بعد أن غادرت المحطة وذبح المسافرون على بكرة أبيهم. وقدم كاراكا وصفاً مرعباً للأعمال الوحشية التي ارتكبت بحق ركاب القطار الهاربين إلى باكستان وكان كاراكا آنذاك مراسلاً لصحيفة بمبي كرونيكل:

يقول كاركا: «شاهدت هذا القطار في الصباح التالي عندما انتقلت إلى نقطة الأمان في محطة امرتسر وقد وضعت عليه حراسة كبيرة وكانت الرائحة النتنة على رصيف المحطة مؤذية جداً حتى إن الحراس كانوا يضعون كمامات على

أنوفهم، ذبحت العصابات المسلحة الركاب أما الذين نجوا من القتل وكانوا بين ٤٠٠ و٥٠٠ شخص كانوا محظوظين جداً بهذه النجاة، وعندما شاهدتهم يقفون على الرصيف وهم مشدوهون لا يستطيعون الكلام وبعضهم يبكون دون وعي. كان مشهداً مؤلماً وكان الدم يسيل من المركبات إلى الرصيف وكان الرجال والنساء والأطفال مستلقين وهم أموات جاثمون في أوضاع مروعة وغارقون في الدم ورؤوسهم مصدوعة وبطونهم مبقورة أو ممزقة». إن حقد القتلة لم يستثن أحداً وكانت إحدى المصائب التي واجهت الهاربين النقص في الغذاء والماء. ففي بعض المناطق كانوا يرفضون تزويد قطارات الهاربين بشربة ماء. حتى إن أمهات المسلمين إضطررن إلى دفع ٣٠٠ روبية أي ما يعادل ٦٥ دولار من أجل كأس ماء واحدة في محطة شرق البنجاب لكي يضعن قطرة ماء في حناجر أطفالهن المحتضرين.

وفي غرب البنجاب كان هناك إغراء كبير لتنفيذ القتل الجماعي في المسلمين كما هي الحال في شرق البنجاب ولكن النداءات التي أتت في الوقت المناسب والإجراءات التي اتخذها زعماء الباكستان أوقفت أعمال الإنتقام مع إنها كانت فظيعة في بعض المناطق وتمت السيطرة على الوضع بشكل عام والأزمة في أوجها إذ خاطب محمد علي جناح إخوانه المسلمين طالباً إليهم ألا يلطخوا أيديهم بدماء مواطنيهم وألا يفسدوا هذا الإنجاز العظيم الذي هو باكستان وأن يعودوا عن الجنون والوحشية والذبح.

هذا ليس وقت البحث في أصل وسبب كل ما حدث أو توزيع اللوم ومعرفة أية جماعة ألحقت الخزي بنفسها أكثر من غيرها، بل سنترك الحكم في ذلك إلى المؤرخين. إن الإنسانية تصرخ عالياً ضد هذا التصرف الشائن والأفعال التي ارتكبت.

وكان راجا غضنفر علي خان وزير اللاجئين في باكستان يطوف غرب البنجاب ليكبح روح الإنتقام والثأر ويطلب في كل مكان ذهب إليه تعهداً ووعداً موثوقاً من المسلمين بأن يحموا أرواح وممتلكات الهنادكة والسيخ المقيمين

بينهم وفي كل مكان كان المسلمون يعطون هذا التعهد بحرية تامة، لقد رغبوا بضرب مثال حي للحماية والأمان الذي تجده الأقليات في باكستان وشعروا بأن هذا التصرف من جانبهم سيقنع زعماء الهنادكة على تبادل العواطف ومنح الحماية للأقلية المسلمة الضعيفة والمضطهدة في المناطق الواسعة في بلاد هندوستان. ولكن كل هذا كان دون فائدة ولم تتوقف المذبحة في شرق البنجاب، ولكي يزداد الأمر سوءاً أصبح الجيش شريكاً في الإجرام وذكر مولانا آزاد قال: «قال لي اللورد مونتباتن مرة وهو حزين أكثر منه غاضباً بأن الجنود الهنادكة في الجيش يريدون المشاركة في قتل المسلمين في شرق البنجاب إلا أن المسؤولين البريطانيين منعوهم من ذلك بصعوبة كبيرة».

في وسط هذا الهياج الكبير والمذبحة المروعة كان شعاع الأمل الوحيد هو قوة الحدود في البنجاب بقيادة الجنرال (ريس) وكانت هذه القوة الصخرة الوحيدة التي تقف بثبات وكانت جهودها جريئة وحاسمة لمنع سفك الدم البريء. ولكن تنفيذها للمهمة الملقاة على عاتقها كان يعوزه الإخلاص والتفاني الصادق نظراً لخطورة الوضع واتساع رقعة المنطقة التي تشرف عليها وكذلك بالنظر إلى ضآلة قوتها فقد بذلت هذه القوة ما بوسعها لضبط مناطق واسعة ساد فيها الذبح والرعب ولإعادة السلام إليها. وأول محاولة جرت لضعضعة هذه القوة كانت في ١٧ أوغست في اجتماع طارىء عقد في مدينة أمبالا على مستوى عال ضم زعماء شرقي البنجاب السياسيين وشخصيات رفيعة وفي الوقت ذاته قامت صحافة دلهي بحملة هجوم قاسية على قوة حدود البنجاب وعلى الجنرال ريس شخصياً؛ فاحتج عليها أوشنليك إلى مونتباتن في ٢٧ أوغست أما مونتباتن الذي كان قد سبق له أن تحدث بالوضع مع سردار بالديف سينغ وزير الدفاع الهندي وقبل بوجهة نظره القاضية بتفريق قوة الحدود، وعلى الرغم من أن قوة الحدود هذه كانت دون شك أفضل جواب عسكري للمشكلة إلا أنه كان مستعداً أن يسلم بأن السبب النفسي في هذه الحال يمكن أن يفضل الأسباب العسكرية البحتة.

وجـاء في تقـديرات موثـوقـة أنه هاجر من شرق البنجاب ومن الإمارات ٥١,٩٣ مليون من أصل ٥٨,٢٠ مليون مجموع عدد السكان وبلغ عدد القتلى نحـو نصف مليون نسمـة، وصرح حاكم البنجاب الشرقية السيد (شاندو لال تريفيدى) أنه لم يبق مسلم واحد في منطقة جولندور وكذلك الأمر في منطقة أمبالا، وقال كاراكا: «لم أكن أعتقد أنه سيأتي يوم لا أرى فيه مسلماً واحداً في مدينة كبيرة ولكن ذاك اليوم قد أتى الآن إذ لا يوجد مسلم واحد في مدينة امرتسر اليوم ما عدا بعض الجنود الذين يعملون في الجيش وعليهم حراسة شديدة».

إن اللهب الإجرامي الذي كان ينقص عدد المسلمين بانتظام ويحولهم إلى رماد في شرق البنجاب والولايات قد تحول نحو الجنوب والشرق في مطلع شهر سبتمبر إذ انقض الهنادكة على المسلمين بوحشية مماثلة في مدينة دلهي حيث كان الـوضع متفجراً منذ نهاية شهر أوغست. وكتب مراسل نيودلهي لصحيفته التايمز اللندنية في ٦ من سبتمبر يقول:

«لم يمر يوم دون حوادث طعن وقتل يذهب المسلمون ضحيتها وهناك أمثلة كثيرة عن منازل يشغلها المسلمون استولى عليها اللاجئون من الهنادكة والسيخ بقوة السلاح».

وجاء في برقية أرسلت إلى يوركشاير بوست: «يعيش المسلمون اليوم في دلهي في حالة ذعر شديد فهم لا يستطيعون الهرب إلى باكستان بالقطار لأن القطار الحديدي الذي يحمل المسلمين إلى باكستان عن طريق شرق البنجاب محفوف بالمخاطر الشديدة بسبب عمليات السطو على القطارات التي تقوم بها عصابات مسلحة من السيخ والهنادكة بحثاً عن الضحايا من المسلمين للفتك بهم، وفي دلهي ترتكب أكثر الجرائم وحشية ضد المسلمين كل يوم».

وكتبت يوركشاير بوست في ٢٩ سبتمبر ١٩٤٧ تقول: «حتى في دلهي مقر حكومة الكونغرس يعيش الآلاف من المسلمين في بؤس وشقاء في معسكرات الـلاجئين لأنهم لا يجـرؤون على العـودة إلى منـازلهم. لا يشـك المـراقب

للأحداث بأن المجزرة قد بدأت بأحداث العنف التي قام بها السيخ الذين لا تستطيع الحكومة الهندوكية منعهم من ذلك وربما لا ترغب في منعهم. وكتب شخص أوروبي زار دلهي في تلك الأيام الفظيعة قال: «التهمت النيران بهارغنج المحلة الإسلامية بكاملها وفي كارول باغ نهب كل بيت للمسلمين، وفي كل مكان رأيت عدداً كبيراً من السيارات والشاحنات المكتظة بالمسلحين الهنادكة يتجولون بحرية في كل مكان. وهنا يتساءل المرء من أين حصل هؤلاء على الشاحنات والسيارات والبنزين؟ إني أشك بقيام الحكومة بمهمتها على الوجه السليم».

وقدر مراسل صحيفة ديلي اكسبريس في دلهي عدد الأشخاص الذين يقاتلون في شوارع مدينة دلهي الملتهبة بنصف مليون شخص إلى جانب مائة ألف شخص يقومون بأعمال الشغب في مدينة دلهي الجديدة. وقد وصف الإنفجار الحاصل في دلهي على أنه إنذار ليصبح من أكثر حوادث الشغب في الهند التي لا يستطيع أحد أن يقدر عواقبها، وكتب وزير الثقافة الهندي يقول: «أصبح الوضع في مناطق المسلمين هذه سيّئاً للغاية حتى أنه لا يذهب أحد للنوم وهو على ثقة من أنه سيكون حياً في الصباح التالي».

وذكرت مصادر موثوقة بأن المجازر التي حدثت في دلهي كانت خاضعة لتنظيم علمي دقيق ومن ناحية أخرى تمت مصادرة إجازات حمل السلاح التي كانت ممنوحة للمسلمين سابقاً بينما يتجول غير المسلمين وهم يحملون جميع أنواع السلاح لقتل المسلمين، وكذلك يملك أعضاء منظمة ر. س. س خريطة كاملة للمدينة عليها علامات على منازل المسلمين وعدد الأشخاص القاطنين فيها وهناك خريطة أخرى توضح القرى المحيطة بدلهي حيث تمت فيها حوادث إبادة المسلمين وتدميرهم وفق الخريطة المذكورة.

ومن الناحية العملية قتل جميع المسلمين في مناطق بهارغنج وسبزى مندى (سوق الخضر) وكارول باغ ولودهي كالوني ونهبت منازلهم واغتصبت نساؤهم ولا

يعلم أحد بالآلاف من الناس الذين قتلوا بسبب التعتيم الكامل على الأخبار من طرف حكومة دلهي . ولكن مصدراً واحداً ذكر في ١٠ سبتمبر بأن عدد المسلمين الذين قتلوا في دلهي وضواحيها بلغ ١٥,٠٠٠ . واعترف غاندي فيما بعد بأنه ما لا يقل عن ١٣٧ مسجداً قد هوجمت وانتهكت ودنست في مدينة دلهي وإن أحدها يقع على بعد نصف ميل من مكتب نهرو وقد تحول هذا المسجد إلى معبد هندوكي ونصب فيه تماثيل آلهتهم، أما الأماكن المقدسة والأضرحة ومنها ضريح (حضرت بختيار كاكي) فقد احتل معظمها غير المسلمين. والأهم من هذا كله ما عمد إليه الهنادكة من محاولات لرد المسلمين عن دينهم بالجبر والإكراه وقد غادر دلهي نحو ١٥٠,٠٠٠ مسلم في ستة أسابيع وكانوا يتلهفون إلى الرحيل خلال انتظارهم الإجراءات القانونية وهكذا فقد انخفض عدد المسلمين في دلهي إلى النصف بسرعة ويقول ستيفن: تعتبر مجزرة دلهي ذات أهمية خاصة بغض النظر عن عدد القتلى الكبير فيها، وقال في ذلك: «أولاً: حدثت مع بداية حكومة جديدة مستقلة في الهند حيث كان يعيش أشخاص بارزون من كل نوع والذين لا يستطيعون أن يراقبوا الأحوال وأن يتحدثوا بما يجري. أما بالنسبة لأعمال القتل الوحشية التي تعرضت لها الأقلية المسلمة الخائفة من قتل وحرق ونهب لم تنحصر في المناطق الفقيرة المكتظة بالسكان من المدينة القديمة الواقعة ضمن السور ولا في القرى القريبة بل اكتسحت في الوقت ذاته مدينة دلهي الجديدة ذات الشوارع العريضة المشجرة حتى وصلت إلى أبنية الحكومة التي خلّفها العهد البريطاني منذ قليل وإلى المحال التجارية ذات الأروقة الأمامية، وإلى دارات كبار الموظفين ذات الرفاهية التامة؛ ثانياً: من الأمور المؤلمة التي رافقت حوادث الشغب في دلهي هي الفتور الكامل وعدم المبالاة اللذين اتسم بهما معظم زعماء الهنادكة تجاه حالة المسلمين البائسة، وقد حاول كل من غاندي ونهرو السيطرة على الموقف ولكنهما عجزا لأن معظم الزعماء الآخرين لم يكونوا متعاونين معهما وقد شكا نهرو إلى غاندي عدم استطاعته احتمال الموقف في دلهي حيث يقتل المواطنون المسلمون مثل القطط والكلاب؛ أما سردار بتيل الذي كان وزيراً للداخلية ومسؤولاً عن إدارة

دلهي فقد رفض النظر في أية شكوى قدمت إليه بشأن هذا الأمر. ففي الوقت الذي كان يقتل فيه المسلمون في دلهي وسط النهار أخبر بتيل غاندي بكل هدوء وبساطة قائلاً: إن الشكوى التي قدمها جواهر لال نهرو مبهمة تماماً. وعندما بلغت المجازر ذروتها في دلهي قال بتيل لزعيم مسلم بحدة رداً على توسله إليه بالتدخل: إذا قدم لي جميع المسلمين في دلهي طلباً خطياً برغبتهم في الذهاب إلى باكستان عندئذ سأقوم بمراسلة حكومة باكستان بهذا الشأن وإلا فأنا لا أستطيع قمع جنون اللاجئين ولا قوة غوركا. وكذلك أنذر رئيس الكونغرس اتشاريا كريبلاني المسلمين بأن الحكومة الهندوكية لا تستطيع حمايتهم وقال: على الرغم من قوة شرطتنا وجيشنا فإن الواجب على المسلمين أن يحصلوا على الأمان من جيرانهم الذين يشكلون أكثرية السكان والذين منهم تأتي الأكثرية في صفوف رجال الشرطة والجيش وإن هذا لن يكون فعالاً في توفير الحماية أيضاً إلا إذا اطمأن الهنادكة هنا إلى أن إخوانهم في باكستان يعاملون معاملة عادلة.

وهذا العمل عبارة عن الاحتفاظ برهائن لقاء رهائن وعلى الرغم مما تنطوي عليه هذه النظرية من عدم الثقة فقد تجاوزها بعض زعماء الهنادكة وذهبوا إلى أبعد من ذلك إذ أنهم اعتبروا المسلمين غرباء وينكرون عليهم مطالبتهم بحقوق المواطن وذلك على اعتبار أن العدو القديم يبقى عدواً في المستقبل».

وقد احتج المسلمون على ما يقوله الهنادكة بحقهم وما ينسبون إليهم من خيانة واعتبارهم طابوراً خامساً وغرباء على أساس دعمهم السابق لمطلب باكستان، وقالوا لهم: علينا أن ندفن ذكريات الماضي الأليمة. كما قررت حكومتا الهند وباكستان المؤقتتين في يوليو الماضي المبدأ الرئيسي القائل بأنه لن يعاقب أي مواطن في الدولتين على نشاطه السياسي في الماضي؛ لا سيما وأنه ليس هناك أساس للشك في إخلاص المسلمين الهنود للدولة الهندية.

وبصرف النظر عما أبداه زعماء مسلمون من إخلاص في تصريحاتهم فإننا نكتفي بما قاله الزعيم جناح الذي دعا مرات عديدة المسلمين قبل ولادة باكستان وبعدها إلى الإخلاص للدولة الهندوكية لمن كان نصيبه من المسلمين أن يكون

فيها. وحيث أن المسلمون واقعيون فقد قبلوا مخلصين السيادة الهندية وحكومتها وقبلوا راية الاتحاد وحيوها وتعهدوا بأن يحترموها حتى آخر لحظة من حياتهم، وشاركوا في احتفالات ولادة الدولة الهندية وقالوا لسردار بتيل رجماعته بأنهم ينظرون إليهم وهم جالسون على مقاعد الخزينة على اعتبارهم آخر القضاة بشأن الأقليات وأنهم لم ينظروا إلى قوة ثالثة حتى ولا إلى باكستان، ولكي يبرهن المسلمون على إخلاصهم فقد قام تشودرى خالق الزمان زعيم حزب الرابطة الإسلامية في الاجتماع التأسيسي الهندي بانتقاد تصريحات محمد ظفر الله خان، وملك فيروز خان نون حول حوادث الشغب في الهند وصرح بأن المسلمين ليسوا مخلصين فقط للإتحاد الهندي بل يسوءهم أيضاً أي انتهاك لتفوقهم عليهم. وصرح حسين شهيد سهروردي الذي بذل ما بوسعه في ساعة الخطر الرهيبة لتحقيق السلام في كلكتا قائلاً ما يلي: «نستطيع أن نصرح بوضوح وصراحة تامين ودون خوف ونحن نضع أيدينا على قلوبنا بأننا مواطنون مخلصون للدولة وسنبقى كذلك».

ولكن جميع هذه التوكيدات عن الإخلاص لم تحقق نفعاً حتى إن غاندي نفسه ارتاب مرة ضمناً في إخلاص المسلمين إذ قال: «إن المسلمين الذين كانوا يخلصون فيما مضى لباكستان يجب ألا يظلوا في الاتحاد الهندي»، بينما قال جناح: «إن الأقليات لا يمكن أن تنزع عنها مواطنيتها للدولة التي هم فيها استناداً إلى انتمائهم إلى دين خاص أو اعتقاد أو عرق وانه يتوقع من كل مواطن أن يكون مخلصاً للدولة التي يعيش فيها وأن يدين لها بالولاء الصادق ويجب أن تكون يد القانون قوية بحيث تستطيع أن تؤدب أي شخص أو فئة أو مجموعة من الناس تخون بلدها ولكننا مع ذلك لا نطالب أية مدرسة امتحان تلاميذها، ولا نسأل أي مواطن هندوكي في باكستان قائلين: إذا حدث حرب هل تستطيع أن تقتل هندوكياً؟».

جاء صوت الزعيم جناح من فوق تصعيدات صيحات الحرب الآتية من وراء الحدود وأخذ يدعو للسلام والتسامح وحاول هذا الصوت في حالات كثيرة أن

يبدد السحب المظلمة للتعصب الطائفي ويوقد شعلة الأمل بالسلام مهما كانت ضعيفة وهزيلة في قلب كل خائف على طرفي الحدود وكان صوته عالياً إذ قال: «مهما تكن الأسباب الإستفزازية يجب ألا يكون هناك انتقام أو أخذ بالثأر بل على الضد من واجب كل مسلم باعتباره يحترم كلمته وشرفه ووفقاً لما يأمره به دينه أن يحمي الضعيف ويساعده وإني أحثهم جميعاً ألا يكونوا أداة انتقام أو أخذ بالثأر وان واجبنا الإلزامي يحتم علينا حماية الأقليات ومعاملتهم معاملة عادلة كما نعامل مواطنينا».

فلا عجب أن تعلق إحدى الصحف الأسبوعية الهندوكية بقولها: بينما فريق منهمك في كسب ثقة الأقليات يتحدث الفريق الآخر عن تقديم التسهيلات التامة للذين يرغبون بالهجرة من الاتحاد الهندي. وفي الوقت نفسه امتدت حوادث الشغب إلى مناطق أخرى وعمت المناطق الغربية من يوبي وأجزاء من بهار وراجبوتانا وطوتها في لهيبها المشتعل. كان هناك حوادث شغب في كل من ميروت وبلند شهر وآغرا وموترا ومراد آباد وأمروها وبريللي وروهيل كهند وديره دون وسهارنبور وبنارس وهاردوار واجمير وعشرات من الأماكن الأخرى. كانت أجمير من أكثر الولايات المتضررة[1] أي أن ما جرى فيها كان نسخة مكررة عما جرى في دلهي كما ذكرت صحيفة تايمز الهندية التي تصدر عن بمبي. أما كلكتا فقد أخذت تعرض متباهية وبوقاحة متناهية قصصاً مخترعة في الإذاعة وتحث الهنادكة على الانتقام من الأعمال الوحشية التي ارتكبها المسلمون في غرب البنجاب. في مثل هذه الظروف اعتمد الوضع إلى حد كبير على موقف الزعماء الهنادكة وخاصة موقف غاندي، ومع أن موقفه كان متناقضاً من الناحية الظاهرة إلا أنه قد سمح لنفسه وهو الزعيم الكبير بأن يتأثر بهيستريا الحرب السائدة في الهند وقد صرح في حديث له في ٢٦ سبتمبر أطلقت عليه صحيفة مانشستير غارديان بأنه حديث مثير وغير مدروس إذ قال فيه: «إذا لم تكن هناك طريقة أخرى لضمان العدالة في باكستان وإذا رفضت باكستان بإصرار أن ترى خطأها

---

(١) لأنها تعد بلداً مقدساً عند المسلمين.

الواضح واستمرت في التقليل من شأنه ستلجأ الحكومة الهندية إلى الحرب».
وقال مراقب بريطاني: «كان تأثير تصريح غاندي هذا تهديداً ومعادياً للسلام الطائفي بين الدولتين».

في أعقاب صيحة الحرب هذه أتى الطلب من أجل الترحيل التام لجميع المسلمين من دلهي وغرب يوبي وأول من نادى بهذا الطلب الرئيس تارا سينغ وتعهدته الصحافة الهندية قبل فترة قصيرة وكتبت صحيفة هندوستان تايمز التي تعتبر الناطق بلسان الكونغرس مقالين مثيرين لدعم هذا الطلب وقالت في الإفتتاحية: «لن تملك الحكومة الهندية القوة لمنع انتشار الشعور المناهض للمسلمين في جميع المناطق التي انتشر فيها اللاجئون». ودرس موضوع إخلاء المسلمين من دلهي وغرب يوبي وزراء الهنادكة الذين التقوا بلياقت علي خان في لاهور في ٢٥ أكتوبر ١٩٤٧ وطلبوا إليه اتخاذ الإجراءات اللازمة لإيواء اللاجئين.

أقيمت معسكرات للاجئين في شرق البنجاب ومن بعدها في دلهي وأماكن أخرى حيث برهنت حوادث الشغب استحالة وجود حياة آمنة للأقليات فيها. وزار اللورد ايسمه[1] بعض هذه المعسكرات في دلهي ورسم صورة للوحشية التي تعتبر انتهاكاً لإنسانية الفرد وقال: «كان المعسكر الأول الذي دخلته مكتظاً بالرجال والنساء والأطفال والثيران والحمير والمركبات وكانت حفنة من الأوغاد في المنازل المطلة على هذه المعسكرات يتسلون بإطلاق العيارات النارية من حين لآخر في وسط هذه المعسكرات. . . ، أما المعسكر الثاني فكان في برانا قلعة (الحصن القديم) فكان منظره مروعاً حشر فيه آلاف من المسلمين حشراً ولم يكن هناك ملجأ أو طبيب أو تدابير صحية ولا حتى وسائل للاتصالات. . . ».

---

(١) ISMAY

اغتيال غاندي:

كل هذا كان من شأنه إثارة ضمير النفوس الصادقة والصالحة وهناك في طول البلاد وعرضها آلاف من الأشخاص الذين لا يخافون التهديد إلا أنهم كانوا يشعرون بالكرب الشديد والقلق أيضاً وعلى رأس هؤلاء غاندي الذي ارتكب ولا شك بعض الهفوات مثل تصريحه الذي دعا فيه إلى الحرب أو عندما وافق على إرسال الجيوش الهندية إلى كشمير ولكن الذي لا شك فيه هو أنه كان يفضل السلام. في شهر أوغست عين نفسه جنرالاً في (قوة الحدود ذات الرجل الواحد) وبالتعاون مع سهر وردى حاول بنجاح إحقاق السلام في كلكتا التي عانت الكثير من حوادث الشغب. فمنذ وصوله إلى دلهي في سبتمبر بذل جهوداً كبيرة لكبح جماح الاندفاع الطائفي وتحقيق الأمان للمسلمين في أرواحهم وممتلكاتهم غير أن سردار بتيل الذي كان وزيراً للداخلية وبالتالي مسؤولاً عن القانون والنظام استخف بالوضع في دلهي وقد شعر غاندي بالقلق الشديد من موقف بتيل هذا. إذ أن غاندي لم يخب في مسعاه فقط بل إنه وجد من بتيل عدم اكتراث به إذ صم أذنيه عن سماع غاندي وطلباته الحماسية وهنا احتاج الأمر إلى موقف بطولي من غاندي وإلى تضحية سامية لإيقاف هذا الوضع اليائس، وشعر بأنه لم يبق لديه سلاح إلا أن يصوم حتى الموت أو يعود السلام إلى دلهي. وكان يقصد من صيامه هذا إعطاء درس لسردار بتيل وشعر بتيل من جانبه بأن غاندي كان مصمماً بعمله هذا على تشويه سمعة الهنادكة أمام العالم أجمع وشعر الملحق الصحافي للورد مونتباتن أن الهدف من هذا الصيام كان من أجل رأب الصدع بين الرجلين العظيمين في الحكومة الهندية وهما نهرو وبتيل مدركاً أنه هو الوحيد القادر على ذلك وفي حالة خيبته لن يتعرض حزب الكونغرس فقط إلى خطر مهلك بل سيتعرض الحكم الهندي كله إلى الخطر.

على أية حال إن صيام غاندي لمدة أربعة أيام من شهر يناير ١٩٤٨ كان له الأثر الكبير على الجو الطائفي في دلهي إلا أن سردار بتيل لم يوافق على ما فعله غاندي لتحقيق الشعور بالأمان بين المسلمين. وكذلك كان موقف فئة كبيرة

من المتطرفين الهنادكة الذين أصدروا نشرات يصفون فيها غاندي بأنه عدو الهنادكة، وذهبت إحدى النشرات إلى أبعد من ذلك إذ ذكرت بأنه إذا لم يغير غاندي من طرقه ستتخذ الخطوات اللازمة للقضاء على تأثيره.

وقامت إحدى الفئات برفع الرايات السود خارج المكان الذي ينزل فيه غاندي حيث كان يقضي فترة صيامه وكانت هذه الجماعات تهتف: (ليمت غاندي)، وكذلك أرسلت له رسائل تهديد بالبريد وبعد بضعة أيام ألقيت عليه قنبلة أثناء أحد اجتماعاته للصلاة. ومما يدعو للغرابة عدم اتخاذ إجراءات أولية لحماية غاندي بعد هذا التهديد الصريح وكانت النتيجة إغتياله على يد شخص يدعى ناتورام فينا[1] ياك غودس في ٣٠ يناير ١٩٤٨ وعندما انتشر خبر موته قامت إحدى الفئات المثيرة للذعر بنسبة هذا الفعل الغادر إلى أحد المسلمين ولكن سرعان ما أخمدت هذه الإشاعة بعد أن عرف القاتل ولكن أثر الإشاعة قام الهنادكة في بمبي ومدراس وعدة أماكن أخرى الانقضاض على المسلمين والانتقام منهم.

وكتبت صحيفة هندوستان ستاندرد افتتاحية تقول بأن غاندي قتل على يد أصحابه الذين عاش من أجل تحريرهم، لقد قتل لأنه تجرأ على استعمال سلاح الصيام المفضل لديه ولكن ليس ضد البريطانيين بل ضد المتعصبين من الهنادكة لإجبارهم على التخلي عن ذبح المسلمين الأبرياء وأثارت حادثة اغتياله سؤالين هامين وهما: إذا كانت هذه هي المعاملة التي يقدمونها إلى غاندي (للجريمة) التي ارتكبها بمطالبته بمعاملة عادلة للمسلمين الضعفاء فماذا يدخرون إذن أن يقدموه لأولئك الذين كان غاندي يدافع عن قضيتهم؟ إذا لم تستطع إدارة دلهي برئاسة تلميذ غاندي المخلص سردار بتيل أن تقدم لغاندي الحماية اللازمة بعد التهديدات المتكررة له فما هي الحماية التي يستطيع سردار بتيل أن يقدمها للمسلمين خلال مجزرة دلهي؟ وكنتيجة طبيعية لذلك ما هي

---

(١) NATHURAM VINAYAK GODSE

الحماية التي سيجدها المسلمون إذا كانت هناك حماية في باقي البلاد الهندية؟.

على أية حال إن اغتيال غاندي وموته كان أكثر إثارة لمشاعر المفكرين من الهنود الذين وجدوا فيه هدوءاً مفاجئاً في أعمال التخريب التي تحدث الآن على الأرض الهندية منذ اثنين وعشرين شهراً، وكذلك لفت انتباههم إلى منظمة ر.س.س الفاشية وإلى وجود غودس عضواً فيها. وكما لاحظنا سابقاً لقد تمتعت هذه المنظمة لفترة طويلة بالعطف الخفي لبعض موظفي الحكومة وربما بعطف بتيل نفسه وكذلك الدكتور شاياما[1] براساد مكرجي الذي كان الرئيس السابق لمجلس النواب وهو الآن عضو في الحكومة الهندية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن سردار بتيل قد أهمل في بداية يناير ١٩٤٨ الإتهامات الإجرامية الموجهة ضد أعضاء منظمة ر.س.س ووصفهم بأنهم وطنيون. وقد نصح أتباعه في الكونغرس بقوله: «يجب أن يتعامل رجال الكونغرس بطريقة مختلفة مع أعضاء منظمة ر.س.س ولا يعتمدون على سلطتهم وقوانينهم لأنهم برغم كل شيء لا يعملون من أجل دوافع أنانية ولديهم أخطاؤهم ولكن من واجب رجال الكونغرس مناصرتهم وليس قمعهم. ومن ناحية أخرى ذكر أن مكرجي استخدم غودس في أعمال سياسية مهمة ويؤيد هذا تقرير نشر في نشنل هرالد أن مكرجي أرسل رسالة إلى ماهاني[2] ديغفيجانيات رئيس المجلس النيابي في يوبي بيد غودس المذكور وقد تضمنت الرسالة التي أرسلت عشية حركة ساتيا غراها إلى المجلس النيابي المركزي شروط التسوية على الأساس الذي توقفت عليه الحركة أخيراً.

لقد أدى السخط العام الذي نجم عن حادثة اغتيال غاندي إلى إجبار الحكومة الهندية على إدانة منظمة ر.س.س في ١٤ فبراير ١٩٤٨ وأعلنت الحكومة قرارها باستئصال هذه الجماعة المكروهة القائمة على العنف والتي تهدد حرية الشعب وتشوه سمعته الطيبة. وقد وجهت الاتهام إلى منظمة

(١) SHAYAMA PRASAD MUKERJI

(٢) ديغفيجانيات MAHANI DIGVIJAYNATH

ر.س.س على أعمال الحريق والسرقة والإجرام وجمع السلاح غير المشروع والذخيرة الحربية وتوزيع المنشورات المثيرة والداعية إلى العصيان وحث الناس على أعمال الإرهاب والتحريض على السخط على الحكومة بطرق مختلفة. وقد تحدث بلاغ رسمي في الصحافة عن النشاطات البغيضة والمؤذية التي تقوم بها جماعة ر.س.س وأعلن قانون العنف الذي أوجدته نشاطات المنظمة ووزعته عن مسؤولية هذا الحزب عن العديد من الضحايا. وكان آخرها وأكثرها إجراماً اغتيال غاندي. ونتيجة لذلك قبض على نحو ١٧٠٠ شخص من أكثر أعضاء المنظمة أهمية وقد علقت صحيفة هندوكية أسبوعية بقولها: لقد أصبح حامل الرسالة في السجن متهماً بقتل غاندي أما مرسل الرسالة فهو الآن وزير في الحكومة المركزية التي تدعي أنها تقاوم المتآمرين، أما الدكتور مكرجي فلم يجرؤ على مغادرة منزله واستقال بعد وقت قصير من المجلس النيابي.

كان عمر هذه الإدانة قصيراً جداً ونتيجة المفاوضات بين غولواكر وبتيل رفعت الإدانة عن جماعة ر.س.س في ١٢ يوليو ١٩٤٩ وكان هذا مؤشراً واضحاً عن درجة تأثير منظمة ر.س.س في الحكومة الهندية في مختلف المجالات، وأتى قرار لجنة العمل في الكونغرس بعد ثلاثة أشهر أكثر غرابة إذ سمح لأعضاء هذه المنظمة بالإنضمام إلى حزب الكونغرس إذا رغبوا في ذلك. أثارت الاحتجاجات من مختلف الجوانب دفاعاً قوياً عن القرار المصيري من السيد مسرا[1] وزير الداخلية في مادهيا براديش وقال: عندما لم يعترض رجال الكونغرس على انتساب أعضاء جمعية العلماء إلى الكونغرس على الرغم من تصريحهم بحماية الحضارة الإسلامية وعندما يرحب بأعضاء الرابطة الإسلامية سابقاً والذين لعبوا دوراً مهماً في تقسيم البلاد المأسوي ويسمح لهم بالاشتراك في الكونغرس؛ إذن لماذا يعترض على دخول أعضاء منظمة ر.س.س في تنظيم الكونغرس؟.

لم تساعد تصريحات الدكتور باتابهاي سيتارامايا[2] رئيس الكونغرس سابقاً

(١) MISRA

(٢) PATTABHAI SITARAMAYA

وأحد وزرائه في توضيح الفوضى وكان نهرو في تلك الأثناء في رحلة للولايات المتحدة الأمريكية وتمكن مؤيدو منظمة ر.س.س الأقلية في الكونغرس وعلى رأسهم سردار بتيل من كسب الجولة ولكن بناء على ما ذكره كوران هناك عاملان يفسران الانقلاب التالي في قرار الكونغرس بعد ستة أسابيع. العامل الأول: الاحتجاجات الكثيرة شديدة اللهجة؛ والعامل الثاني: هو أنه لم يحصل أعضاء المنظمة على عدد كبير من الأصوات إلى جانب تأثير التصريحات المربكة التي قدمها الدكتور باتا بهائي وغيره. كل ما تقدم يثبت بوضوح ودون شك الانسجام والتعاون بين منظمة ر.س.س من ناحية ورجال الكونغرس وأعضاء الاتحاد والحكومة من ناحية ثانية، ومن الجدير بالذكر أن الكونغرس انتخب مباشرة رئيساً له بابو بور شوتا مداس[1] وهو عالم وسياسي هندوكي محترم عرف بنظرياته الهندوكية الصريحة وبتأييده لسياسة عنيفة تجاه باكستان، ويدل انتخابه على اتجاه الكونغرس نحو شكل نام للقومية الهندوكية.

منذ عام ١٩٤٩ نجحت منظمة سينغ في أمرين الأول: ضد الشيوعية، والثاني: ضد المسلمين، وقد ربط خطباؤهم الشيوعيين بكبش الفداء أي المسلمين وباكستان. وهم يعتبرون باكستان تجسداً للشيطان وإن جميع المسلمين عملاء لباكستان، وينحصر اهتمام ر.س.س الكبير في تهديد المسلمين والصفة الشيطانية التي تنسبها هذه المنظمة إلى كل المسلمين، ويشعر العاملون في المنظمة بأنه من واجب كل مواطن مخلص أن يتفحص باستمرار نشاطات المسلمين الهنود اليومية، وإن بدت بريئة في الظاهر، وفي ربيع عام ١٩٥٠ حرض المتحدث بلسان منظمة ر.س.س الحكومة على تبني تأمين الخدمات المدنية قائلاً: «إنه لا يمكن أن يظل الجهاز الإداري المدني وجهاز الشرطة سليمين حتى ينتقل كل مسلم في الحكومة إلى باكستان».

وكذلك وجهت منظمة ر.س.س نيرانها نحو جمعية العلماء التي وقفت إلى جانب الكونغرس في النضال للحصول على الاستقلال ضد الرابطة

---

(١) BABU BURSHOTAMDAS

الإسلامية، وإن تاريخ هذه الجمعية القومي المشرف عبر السنوات لم يحمها من الدعاية السامة والمستمرة التي تقوم بها منظمة ر. س. س. وقد اتهمت الجمعية بأنها مركز المؤامرات الإسلامية في الهند وكذلك اتهمت على أنها المركز الرئيسي الذي يدبر فيه المسلمون مكائدهم في الهند وتعمل هذه الجمعية على إحباط قانون الإجلاء الصادر بحق المسلمين وتتابع دور الرابطة الإسلامية القديم. ويقول سوايام سيفاك بطريقة ذكية وغادرة بأن هذه الجمعية توفر امتيازات للمسلمين وتساعد على الحفاظ على نفسية انفصالية وذلك بتدعيم ولاء المسلمين لدينهم وليس لجمهورية الهند.

ويمكن القول إن زرق هذا السم الطائفي باستمرار في الجسم السياسي الهندي يعتبر عملاً مشؤوماً وستسنح لنا الفرصة لنرى بعضنا من نتائجه في الفصول اللاحقة.